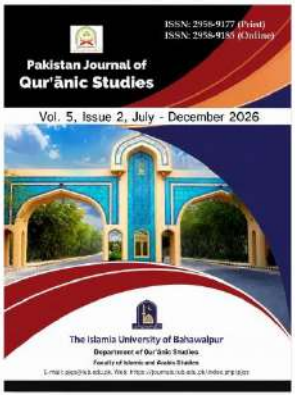



# Pakistan Journal of Qur'ānic Studies

ISSN Print: 2958-9177, ISSN Online: 2958-9185
Vol. 5, Issue 2, July – December 2026, Page no. 1-20
HEC: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1089226#journal_result
Journal homepage: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs
Issue: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/issue/view/332
Link: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/4813
Publisher: Department of Qur'ānic Studies, the Islamia University of Bahawalpur, Pakistan


**Title** **Ethical Traits and Behavioral Characteristics of the Islamic Preacher in Light of Tafsīr al-Manār: An Analytical Study of the Methodology of Shaykh Muḥammad Rashīd Raḍā.**


**Author (s):**

**Ihtisham Gul**
PhD Scholar, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad,
gulihti@gmail.com

**Dr. Mir Akbar Shah**
Assistant Professor, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad,
akbar.shah@iiu.edu.pk



**Received on:** 03 July, 2026
**Accepted on:** 22 July, 2026
**Published on:** 25 July, 2026

**Publisher:** The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan.



All Rights Reserved © 2024 This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

# السمات الأخلاقية والخصائص السلوكية للداعية في ضوء تفسير المنار: دراسة تحليلية لمنهجية الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا

# Ethical Traits and Behavioral Characteristics of the Islamic Preacher in Light of Tafsīr al-Manār: An Analytical Study of the Methodology of Shaykh Muḥammad Rashīd Raḍā

**Ihtisham Gul**
PhD Scholar, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad, gulihti@gmail.com
**Dr. Mir Akbar Shah**
Assistant Professor, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad, akbar.shah@iiu.edu.pk

**Abstract**
*This article examines the ethical traits and behavioral characteristics required of the Islamic preacher (dāʿiya) as derived by Shaykh Muḥammad Rashīd Riḍā in Tafsīr al-Manār. Drawing exclusively on the relevant discussions of the tafsīr, the study surveys the twenty traits that Riḍā deduced from the Qur'anic verses, beginning with righteous exemplarity (qudwa) as the comprehensive principle from which all other traits branch, and covering sincerity and truthfulness, strength of will and high aspiration, knowledge and insight, God-consciousness and its fruit of discernment (furqān), practicing what one preaches, steadfastness, gentleness and mercy, patience and forbearance, pardon and courtesy, consultation and reliance upon God, eloquence, trustworthiness, justice, iḥsān, altruism, eagerness for people's guidance, and the following of the Prophet's example while seeking reward from God alone. The article analyzes Riḍā's method of deriving these traits from the verses, his linking of inner qualities to their practical fruits, and his connecting of the preacher's conduct to the spread and acceptance of the Islamic call. It concludes that, for Riḍā, the preacher's character is itself an instrument of daʿwah: the call succeeds through the caller's embodiment of the Qur'anic ethic before his articulation of it.*
**Keywords:** *Tafsīr al-Manār; Muḥammad Rashīd Riḍā; Islamic preacher (dāʿiya); ethics of daʿwah; Qur'anic exegesis; preaching methodology.*

## المقدمة:

إن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم من علماء الحق، وبها انتشر الإسلام في أرجاء الأرض ووصل إلى أقوام لم يبلغهم من قبل. ولما كان الداعية هو حامل هذه الأمانة ولسانها

الناطق، كان صلاح الدعوة مرهونًا بصلاحه، وكان أثرها في المدعوين تابعًا لما يتحلى به من أخلاق وسلوك. وقد عُني الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا رحمه الله في تفسيره «تفسير المنار» عناية ظاهرة بهذا الجانب، فاستنبط من الآيات الكريمة جملة وافرة من صفات الداعي وأخلاقه، وربطها بسيرة الداعي الأول رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ، حتى صار تفسيره مَعْلمًا في القضايا الدعوية ومدرسة عملية في تربية الدعاة.

يتناول هذا المقال السمات الأخلاقية والخصائص السلوكية للداعية كما استخرجها الشيخ رشيد رضا رحمه الله في تفسيره، معتمدًا على ما قرره في مواضعها من الآيات، ومحللًا لمنهجه في الاستنباط، وذلك في مباحث متسلسلة تبدأ بالأصل الجامع لهذه الصفات وهو القدوة الصالحة، ثم تعرض الصفات القلبية والعلمية والسلوكية والمعاملية، وتختم بأبرز النتائج.

**أولًا: القدوة الصالحة أصل جامع لصفات الداعية:**

قرر الشيخ رشيد رضا رحمه الله أن الله تعالى أرسل رسوله محمدًا خاتم النبيين ﷺ بشيرًا ونذيرًا، معلمًا ومزكيًا، وبعثه بالهدى الأكمل ودين الحق دينًا عالميًا، فكان قدوة للدعاة فيما دعا إليه من العلم والصلاح، متصفًا بكل صفة من صفات النبوة والأخلاق الحميدة. ولما كانت رسالته ﷺ عامة متعدية، وأمته شاملة دعوتها لجميع الأنام، استلزم ذلك أن يكون الداعي المسلم قدوة صالحة وعادلًا في الأحكام والأقوال والأفعال والسيرة في حق المدعو، حتى يقتدي المدعو بأفعاله وأقواله وأخلاقه[1]، وأصل ذلك قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[2].

ومن هذا الأصل تتفرع الصفات كلها؛ إذ يجب على الداعي ألا تنفك هذه الصفات عن شخصيته، وأن يتخلق بصفات الداعي الأول المبلغ رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين في أثناء العملية الدعوية. وقد ذكر الشيخ رحمه الله أهم هذه الصفات في تفسير الآيات مع بيان الأحاديث المتعلقة بها، فبلغت عشرين صفة، تبدأ بالإخلاص والصدق وتنتهي بمتابعة النبي ﷺ واحتساب الأجر والثواب. وفيما يأتي عرض هذه السمات وتحليل منهج الشيخ في استنباطها.

**ثانيًا: الإخلاص والصدق روح الدعوة وأساسها:**

الإخلاص والصدق صفة من صفات الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكانت دعوتهم وهدايتهم لإعلاء كلمة الله تعالى وابتغاء وجهه الكريم، فهذه الصفة أساس الدعوة والقربات كلها، وسر النصر والهدى والإصلاح والقبول في العملية الدعوية. فلا بد للداعي أن يكون صادقًا ومخلصًا لله عز وجل نيةً وقولًا وعملًا في دعوته وأمره

[1] Muhammad Rashīd Raḍā, Tafsir Al-Qur'an Al-Hakim (Tafsīr Al-Manār), Al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ammah lil-Kitab, 1990 M, (5/145, 146), (8/216).

[2] Sūrat al-Ṣaff, al-āya 2, 3.

ونهيه، لا يبتغي بها غرضًا دنيويًا من منصب وجاه، أو وظيفة، أو رياء وسمعة، وتكون غاية دعوته نصحًا وإصلاحًا للمدعوين[3].

وقد استنبط الشيخ رحمه الله هذه الصفة من مواضع كثيرة؛ ففي تفسير أوائل سورة البقرة بيّن أن الله تعالى ذكّر بني إسرائيل أولًا بالنعم التي أنعم بها عليهم، فأحيا شعور الكرامة وإحساس الشرف في نفوسهم، ثم دعاهم إلى الإيمان والعمل، وأرشد إلى أن روح ذلك كله هو الإخلاص والصدق والخشوع، وقال في ذلك:

«وهذا أسلوب حكيم في الوعظ، فينبغي لكل واعظ أن يبدأ وعظه بإحياء إحساس الشرف وشعور الكرامة في نفوس الموعوظين لتستعد بذلك لقبول الموعظة.»[4]

فبيّن الشيخ أن نفس المدعو إذا استشعرت كرامتها وعلوها أنِفَت أن تنحط إلى تعاطي الخسائس والرذائل، وأن هذا الإحساس أقوى وسيلة تعين عزيمة الداعي الصادقة المخلصة على بلوغ مرامه من نفس من يوجه إليه وعظه.

وفي تفسير آية الإنفاق ابتغاء مرضاة الله قرر الشيخ أن الله تعالى يعلم المخلص الصادق من المرائي، وأن على الدعاة والمجاهدين أن يخلصوا له في بذل قدراتهم وأموالهم في سبيل الدعوة والجهاد، ثم قال في صفة إخلاص الداعي والمجاهد وصدقهما:

«وإنما كمال ذلك ببذل الروح والمال جميعا في سبيله.»[5]

فالإنفاق في سبيل الدعوة يطهر الأنفس من البخل والمبالغة في حب المال، وهما من الشوائب التي تعوقها عن كمال صفة الإخلاص والصدق.

وعند قوله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[6] ربط الشيخ رحمه الله خيرية الأمة بالإيمان الإذعاني الخالص الذي تكون الدعوة إلى الحق ثمرة من ثماره، فقال:

«وأمرنا بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذكر أننا خير أمة أخرجت للناس بهذا أو بالإيمان الحقيقي الذي يقترن بالإذعان النفسي والاتباع العملي.»[7]

فالإيمان الإذعاني للداعي يقترن بإخلاصه وتواصيه بالحق، وتنتفي العبادة بانتفاء الإخلاص، إذ لا تتحقق العبادة الصحيحة إلا إذا خلصت لله وحده لا تشوبها شائبة من التوجه إلى ما عداه.

[3] Unẓur: Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (1/8), (12/192).
[4] ibid., ṣ. (1/251).
[5] ibid., ṣ. (3/57).
[6] Sūrat Āl ʿImrān, al-āya 110.
[7] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (4/53).

ومن مظاهر الإخلاص عند الشيخ رحمه الله ترك سؤال الأجر على التبليغ؛ فقد أرشد الله المؤمنين إلى التأسي بالأنبياء عليهم السلام في ذلك، وفسّر الشيخ قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا﴾ بقوله:

«لا أسألكم على هذا القرآن الذي أمرت أن أدعوكم إليه وأذكركم به أو على التبليغ أجرا من مال ولا غيره من المنافع، ..... كما أن جميع من قبلي من الرسل لم يسألوا أقوامهم أجرا على التبليغ والهدى.»[8]

فنية الدعاة في العملية الدعوية تكون خالصة لوجه الله الكريم، يرجون أجرهم على تبليغهم على ربهم عز وجل، والأعمال تنحصر في مقاصدها ونتائجها تابعة لمقدماتها، كما قال معلم الخير ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[9].

ومن ألطف ما استنبطه الشيخ في هذا الباب ما ذكره عند قول شعيب عليه السلام لقومه، حيث بيّن أن حصول الفوز في الإصلاح يتوقف على أمرين: توفيق الله تعالى ومعونته، وإخلاص الداعي وصدقه، وفسّر قوله عليه السلام بقوله:

«ما أريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به وفيما أنهى عنه مادمت أستطيعه؛ لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.»[10]

وأكد الشيخ رحمه الله أن الصدق ملازم للداعي في صحبته كما هو ملازم له في قوله وعمله؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[11] بيّن أن الصادقين المخلصين هم الذين يعتصمون بالصدق والإخلاص في جهادهم ودعوتهم وعهودهم وأقوالهم ووعودهم وتوبتهم إذا قصروا أو أذنبوا، وذكر أثر ابن عمر رضي الله عنهما أن المراد: كونوا مع مُحَمَّد ﷺ وأصحابه فهم الصادقون، ثم قال في تفسير الآية:

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله باتباع ما أمر به بقدر الاستطاعة، وترك ما نهى عنه وبين تحريمه مطلقا، وكونوا مع الصادقين أي مع جماعة الصادقين أو منهم.»[12]

فلا بد للداعي أن يكون بنفسه من الصادقين المخلصين ويصحب جماعتهم، ويتجنب الكذب حتى تكون دعوته مؤثرة في قلوب المدعوين.

وخلاصة هذا المبحث أن الإخلاص رائد الداعي، والصدق قائده، والدعوة والإصلاح غايته، وإذا انعدمت هذه الصفة في تبليغ الدعوة جاء الطمع والغرض والسمعة والأنانية وحب الذات، فيسوء الحال وتخسر الأمة المآل.

---

[8] ibid., ṣ. (7/507).
[9] Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, ṣ. (1/6).
[10] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (12/119, 120).
[11] Sūrat al-Tawba, al-āya 119.
[12] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (11/58).

**ثالثًا: قوة الإرادة والعزيمة، والهمة العالية والشجاعة:**

الإرادة القوية وقوة العزيمة في الدعوة والأمر والنهي من منتجات الإخلاص والصدق والصلة بالله، والمثل الأعلى فيها سيرة رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ في العهد المكي، حيث عذب المشركون الضعفاء منهم وفتنوهم عن دينهم بضروب من الإيذاء بالقول والفعل، وتعرضوا للنبي ﷺ بأنواع من الأذى في جسده والمقاطعة والحبس في الشعب، ومع ذلك استمروا في الدعوة ولم ييأسوا من استجابة المشركين، حتى امتدت هذه الصفة إلى رحلة الطائف بحثًا عن ميدان جديد للدعوة بعد أن قامت الحواجز في الميدان الأول.

وقد استدل الشيخ رحمه الله على أثر هذه الصفة بموقف رؤساء مكة من تلاوة القرآن؛ فقد كان لقراءة القرآن التأثير الجاذب إلى الإسلام في قلب المدعو، ولذلك تصدى المشركون لمنع الرسول ﷺ وأصحابه من الدعوة وتلاوة القرآن على الناس، قال الشيخ:

«هذا التأثير هو الذي حملهم على صد النبي ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام وفي أسواق الموسم ومجامعه.»[13]

ولكن البيئة تبدلت بإرادة الدعاة القوية؛ فهذا القرآن نفسه سمعه المشركون بعد صلح الحديبية فدخلوا بتأثيره في دين الله أفواجًا حين خالطوا المؤمنين، وكان انتشار الإسلام في أربع سنين بالأمان والسلم أضعاف انتشاره في ستة عشر عامًا من أول الإسلام[14].

ومن أظهر نماذج هذه الصفة ما استخرجه الشيخ رحمه الله من قصة نوح عليه السلام؛ فقد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم جهارًا وإسرارًا، ليلًا ونهارًا، إلى عبادة الله وحده بعد الرد المستمر وطول الإباء، حتى وصل معهم إلى درجة اليأس، ومع ذلك بلّغهم الدعوة بقوة العزيمة[15]. ثم بيّن الشيخ أن قصص الأنبياء عليهم السلام في كلام الله أفادت خاتم النبيين ﷺ وأصحابه الدعاة كيفية تبليغ الدعوة وبيان الحق بالإرادة القوية، وزادت الأمة علمًا بسنن الله في الأقوام وثبات الرسل عليهم السلام في مقاومة الدعوة إليه، فثبّتت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وجعلته راسخًا في ثباته ونشر الدعوة[16]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾[17].

ومن دقيق نظر الشيخ رحمه الله في هذا الباب أن الإرادة القوية ليست عنفًا ولا قسرًا، بل هي مثابرة تربوية؛ فقد بيّن أن أكثر الناس يتبعون شهواتهم وينقادون لعاداتهم التي ألفوها في أول نشأتهم حتى تصير ملكة وفطرة

[13] ibid., ṣ. (11/168).
[14] Unẓur: ibid., ṣ. (11/169).
[15] Unẓur: ibid., ṣ. (8/436), (12/59, 66).
[16] Unẓur: ibid., ṣ. (12/162, 163).
[17] Sūrat Hūd, al-āya 120.

ثانية لهم، وأن الطريقة المثلى لإقامة مثل هؤلاء المدعوين على صراط الحق والفضيلة «إنما هي حملهم على ذلك بالعمل والتعويد، مع التعليم وحسن التلقين»[18]، فإذا أقام الداعي الدليل عندهم بحسن التلقين وقوة العزيمة رجعوا عما ألفوه، كما يمرَّن الرجال على أعمال العسكرية ويربى الأطفال في الصغر.

وترتبط بهذه الصفة صفة الهمة العالية والشجاعة والمبادرة؛ فالداعي صاحب الهمة العالية يبادر في تبليغ دعوة الله مستعينًا به، لا يكل ولا يمل، ولا يمكن مسيره بدون توقف وعجز إلا بجذوة الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا وصف الذين قال الله فيهم: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾[19]. وقد بيّن الشيخ رحمه الله عند آيات القتال أن الله تعالى أمر الدعاة والمجاهدين بالثبات في البأساء والشدائد وبكثرة ذكره الذي يشد عزائمهم وينهض هممهم، وأن الثبات والذكر قوتان معنويتان للفلاح والفوز في ميدان الدعوة والجهاد، كما ظهر ذلك يوم بدر الكبرى[20]. فينبغي لكل داعٍ أن يعوّد نفسه احتمال المكاره، ويحاول تحصيل ملكة الثبات في مباشرة الأعمال العظيمة كتربية الأمم والانتقال بها من حال إلى حال.

**رابعًا: العلم والبصيرة، والتقوى وثمرتها الفرقان:**

الإسلام دين العلم والبصيرة والعقل والفكر، ولا بد أن يكون الداعي بصيرًا فطينًا بما يدعو إليه، يعلم المسألة وحكمها، خاضعًا للكتاب والسنة بقدر استطاعته وعلمه. وأصل هذه الصفة قول الله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[21]، وقد فسّر الشيخ رحمه الله البصيرة بالحجة والدعوة إلى سبيله عدة مرات في تفسيره، فالمراد منها العلم اليقيني والأدلة الواضحة العلمية والعقلية، وعلى الداعي أن يستدل على قدرة الله ووحدانيته بالآيات الكونية والأدلة النظرية التي وردت كثيرة جدًا في القرآن الكريم[22]. ومقتضى ذلك أن دعوة الدين تقوم بالحجة والأدلة بدون إكراه، وأن الداعي يجب أن يكون على بينة من ربه، يطالب خصمه بالحجة لا بالإكراه، كما علّم القرآن أهله.

وقد جعل الشيخ رحمه الله فهم القرآن أساس صفة العلم والبصيرة للداعي إلى الحق، واستشهد لذلك بما سئل عنه أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في العلم اللدني الخاص: هل خصهم رسول الله ﷺ بشيء من العلم سوى القرآن؟ فقال:

«لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبدا فهما فى القرآن.... الخ.»[23]

---

[18] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (7/297).
[19] Sūrat al-Aḥzāb, al-āya 39.
[20] Unẓur: Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (10/20, 21).
[21] Sūrat Yūsuf, al-āya 108.
[22] Unẓur: Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (1/350), (2/68, 75), (8/243).
[23] ibid., ṣ. (1/212).

وفي هذا المقام تسلية للداعي؛ إذ بيّن الشيخ أن مناصبة المدعوين للداعي ليست بدعًا، فقد طلبت الملائكة البيان والبرهان فيما لم يعلموا، فأجدر بالمدعوين أن يكونوا معذورين، وبالدعاة أن يعاملوهم كما عامل الله ملائكته المقربين[24].

ومن استنباطات الشيخ رحمه الله البعيدة الغور في هذا الباب ما ذكره عند آية تحريض المؤمنين على القتال؛ إذ بيّن أنها تدل على أن شأن المؤمنين أن يكونوا أعلم وأفقه من غيرهم بجميع العلوم والفنون التي تتعلق بحياة الإنسان وارتقاء الأمم، وأن المسلمين لما تركوا الهداية التي سعدوا بها في دنياهم نزع منهم أكثر ملكهم وزال مجدهم، ووضّح علة الزوال بقوله:

«ثم انتهى المسخ والخسف بأكثر الذين يتولون أمورهم إلى اعتقاد منافاة تعاليم الإسلام للملك والسيادة، والقوة والعلوم والفنون التي هي قوامها.»[25]

فربط الشيخ صفة العلم والبصيرة بواقع الأمة ونهضتها، وجعل من وظيفة العلماء الدعاة أن يعيدوا في الأمة تلك العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن، ويوجبوا منها ما يتوقف عليه الجهاد والدعوة في سبيل الله والعمران.

وتقترن بالعلم صفة التقوى والورع والزهد؛ وهي ترك ما نهى الله عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة في الشؤون العامة والخاصة، وقد ذكر الشيخ رحمه الله معناها المعروف بقوله:

«وهو ما به يتقي سخط الله، وليس ذلك إلا البر والتنزه عن المنكر.»[26]

وبيّن أن العلم يكون في نفسه مجملًا مبهمًا حتى يعمل المؤمن به، فإذا عمل به صار مفصلًا راسخًا جليًا، تتبين به الدقائق والخفايا، حتى يصل صاحبه إلى ملكة الفرقان. وهذا ما فصّله عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾[27]، حيث جعل للتقوى ثمرتين: ملكة الفرقان العلمي التي يفرق بها المؤمن الداعي بين المحق والمبطل، وملكة الفرقان العملي التي يفصل بها بين ما ينبغي فعله وما يجب تركه، وقال في تفسير الآية:

«يجعل لكم بمقتضى هذه التقوى ملكة من العلم والحكمة تفرقون بها بين الحق والباطل، وتفصلون بين الضار والنافع، وتميزون بين النور والظلمة، وتزيلون بين الحجة والشبهة.»[28]

[24] Unẓur: ibid., ṣ. (1/213 - 215).
[25] ibid., ṣ. (10/68).
[26] ibid., ṣ. (2/184).
[27] Sūrat al-Anfāl, al-āya 29.
[28] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (9/538, 539).

ويتوقف كمال الفرقان العلمي والعملي على العلم الواسع بالكتاب والسنة، فيتقي الداعي بمقتضى دين الله وشرعه، وبمقتضى سننه في نظام خلقه. ومن هنا كان كل داعٍ متقٍ يؤتى الفرقان، ويمنحه الله بالتقوى سعادة الدارين بحسب سننه في الكون، كالنصر على الأعداء وجعل كلمته هي العليا في الأرض.

وقد أرشد الشيخ رحمه الله إلى أن غاية هذه التقوى المداومة عليها إلى الممات، ففسّر الأمر بالتقوى حق التقاة والنهي عن الموت إلا على الإسلام بقوله:

«استمروا على الإسلام، وحافظوا على أعماله حتى الموت.»[29]

فالمرء يموت غالبًا على ما عاش عليه، فإذا عاش الداعي على الاحتراس مما ينافي الإسلام وعلى اليقين حق التقوى مات عليها بفضل الله.

**خامسًا: العمل بما يدعو إليه، والاستقامة، ومتابعة النبي ﷺ:**

تبليغ الدين لا يتم إلا بالعمل به، فصفة عمل الداعي بما يدعو إليه داخلة في بيان الوحي وتبليغ الدين الحق، والأنبياء عليهم السلام كانوا قدوة صالحة للناس في العمل بما جاؤوا به، وكان أبرز عوامل نجاح النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة أنه كان يجسد الكمال البشري أمام المدعوين حتى لقب بالصادق الأمين قبل البعثة.

وقد استنبط الشيخ رحمه الله هذه الصفة من توبيخ الله بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[30]، فبيّن أن موافقة العمل للدعوة فضيلة ثابتة بنصوص القرآن مؤيدة ببداهة العقل، وشرط طبيعي لقبول الدعوة والإرشاد من الدعاة وأئمة الهدى، لأن التبليغ وظيفتهم، فإذا كانوا لا يأتمرون بما يأمرون به فالحجة قائمة عليهم بألسنتهم، وفسّر الأمر بالبر بقوله:

«كالأخذ بالحق ومعرفته لأهله، وعمل الخير والوعد عليه بالسعادة مع الغفلة عن أنفسهم وعدم تذكيرها بذلك.»[31]

فشأن الدعاة المنقادين أن يذعنوا بالفعل لما يدعون إليه، ولا ينسوا أنفسهم من ذلك البر والخير، فالداعي لا يحب أن يسبقه أحد إلى السعادة وهو يعرف منها ما لا يعرفه المدعوون، بل يستمسك بالحق قبلهم ويعتز به، وإلا نقض دعوته ودحض حجته.

ويتصل بهذه الصفة صفة الاستقامة والمقاربة والثقة بمعية الله تعالى؛ فقد أمر الله الداعي الأعظم صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالاستقامة في قوله: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا﴾[32]، وبيّن الشيخ رحمه الله أن الاستقامة على الدين والصراط المستقيم شاملة للتوسط في العقائد والثبات على:

[29] ibid., ṣ. (4/17).
[30] Sūrat al-Baqara, al-āya 44.
[31] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (1/246).
[32] Sūrat Hūd, al-āya 112.

«الأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها، وهي في غاية العسر.»[33]

فالواجب على حملة الدعوة اتباع هدي رسول الله ﷺ وسلف الأمة في الاستقامة على جميع الأمور الدينية، وخاصة الثبات على الدعوة والتبليغ وبيان الشرائع كما أنزلت، فالاستقامة عين الكرامة، ومقام الثبات أعلى المقامات، ويدل عليه قول النبي ﷺ لمن سأله قولًا جامعًا في الإسلام: «قل: آمنت بالله، فاستقم»[34].

ومن لطائف هذا الباب أن الشيخ رحمه الله جعل الثبات والاستقامة رحمة يسألها الداعي ربه؛ فالمؤمن الراسخ في العلم يعرف ضعف الإنسان وكونه عرضة للتقلب والذهول والنسيان، فيلجأ إلى الله بأن:

«يحفظه من الزيغ العارض، ويهبه الثبات على معرفة الحقيقة، والاستقامة على الطريقة، فالرحمة في هذا المقام هي الثبات والاستقامة.»[35]

وتختم هذه الصفات السلوكية بصفة متابعة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله واحتساب الأجر والثواب؛ فقد بيّن الشيخ رحمه الله أن اتباع الرسول ﷺ في الاعتقاد الحق والعمل الصالح والأوامر والنواهي هو عين الحب لله عز وجل، وأن هذا الحب والحرص يمحو من نفس الداعي ظلمة الباطل ويزيل منها آثار المعاصي، وبذلك يكون أهلًا لمحبة الله ومستحقًا لمغفرة ذنوبه[36]. وحاصل الكلام في هذا الباب أن رسول الله ﷺ كان لا يتبع في الدين إلا ما أوحي إليه، وهو قدوة للدعاة المبلغين في سبيل الدعوة والإرشاد، فيجب عليهم التأسي به في طريقته التي سلكها في الدعوة إلى دين الحق وإقامته، كما كان الصحابة الكرام ﷺ في الصدر الأول، إذ شعر كل واحد منهم بالحاجة إلى تبليغ الهدى والقرآن ونشر الإسلام وحفظه ومقاومة كل ما يمس شيئًا من عقائده وآدابه وأحكامه ومصالح أهله[37].

**سادسًا: الرفق واللين والرحمة في معاملة المدعوين:**

كان رسول الله ﷺ يعامل المؤمنين المخلصين وأهل الكتاب والمشركين بالرفق واللين والاحترام في دعوته، راجيًا بهم أن يتذكروا أو يخشوا، فلا ينبغي للداعي أن يعنف في الدعوة والأمر والنهي، ويقول للمدعو قولًا غليظًا منفرًا، بل يجب عليه أن يتصف بهذه الصفة حتى تؤثر دعوته في قلب المدعو فيأنس لها ويلين.

وقد أصّل الشيخ رحمه الله هذه الصفة تأصيلًا بديعًا حين ربطها بيسر الشريعة نفسها؛ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ بيّن أن الله تعالى يريد اليسر والرخصة في الأحكام التي شرعها للمكلفين، وأن الدعوة والأمر والنهي بالرفق واللين هو أساس هذا اليسر، فقال:

---

[33] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (12/137).
[34] Ṣaḥīḥ Muslim, ṣ. (1/65).
[35] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (3/189).
[36] Unẓur: ibid., ṣ. (3/234).
[37] Unẓur: ibid., ṣ. (4/32), (7/497).

«الله لا يريد إعنات الناس بأحكامه وإنما يريد اليسر بهم وخيرهم ومنفعتهم، وهذا أصل في الدين يرجع إليه غيره.»[38]

وكان الداعي الأعظم ﷺ يرشد الصحابة ﷺ بهذه الصفة إلى معاني اليسر والوسطية في أمور الدين، وينهاهم عن التنطع والتشدد في العبادات، وسمّى الشريعة الإسلامية بالحنيفية السمحة، وقال: «يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا»[39].

ومن ثمرات هذه الصفة في الواقع الاجتماعي ما بيّنه الشيخ رحمه الله في تفسير آية التأليف بين القلوب؛ فقد ألّف الله بين قلوب المؤمنين بدعوة رسوله حتى أطفأ الإسلام عداوة الجاهلية وبغضاءها بين الأوس والخزرج، والدعوة بصفة الرفق واللين والاحترام هي التي أتت بالهداية وأخوة الإيمان بينهم، قال الشيخ:

«فيأتي الله بهذه الهداية فيجمعهم ويزيل كل ما في نفوسهم من التنافر ويجعلهم إخوانا ترجع أهواؤهم كلها إلى شيء واحد لا يختلفون فيه.»[40]

ومن أدق ما قرره الشيخ رحمه الله في احترام المدعوين ما استنبطه من قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾[41]؛ فقد بيّن أن خالق الناس منحهم الحرية في الدين والاعتقاد، ولم يجبرهم على الإيمان إجبارًا، فعلى الدعاة أن يخاطبوهم بالرفق واللين والاحترام ولا يضيقوا ذرعًا بحريتهم في اعتقادهم، وقد بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام ليكونوا مبلغين وهادين لا مسيطرين ولا جبارين، ونهي عن سب آلهة أهل الأديان حتى يشمل النهي كل متدين، قال الشيخ:

«فيترتب على هذا أن إطلاقه على من يحرم إيذاؤه من أهل الأديان محرم شرعا إذا تأذى به ولا سيما في الخطاب.»[42]

وأما صفة الرحمة والكرم والوجه الطلق فقد أرجعها الشيخ رحمه الله إلى صفة الله تعالى ورسوله؛ فالله عز وجل أنزل القرآن العظيم رحمة للعالمين، ووصف رسوله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، فينبغي للداعي أن يتصف بهذه الصفة، ويغلب على غضبه، ويمكّن الرحمة في قلبه أثناء العملية الدعوية حتى تكون كيفية قلبه في الرحمة على المدعو مثل الوالدين الحريصين على أولادهما. وقد وصف الشيخ القرآن الكريم في هذا المقام بأنه:

«منار هداية عامة وسبب رحمة خاصة لقوم يؤمنون به إيمان إذعان يبعث على العمل بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه.»[43]

---

[38] ibid., ṣ. (2/132).
[39] Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, ṣ. (1/25), (8/30).
[40] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (4/18, 19).
[41] Sūrat al-Anʿām, al-āya 108.
[42] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (7/556).
[43] ibid., ṣ. (8/393, 394).

ثم بيّن سعة هذه الرحمة عند آية الموعظة والشفاء بقوله:

«فضل الله على جميع عباده عظيم وهو على المؤمنين منهم أعظم، ورحمته العامة لهم وبهم واسعة، ورحمته الخاصة بالمؤمنين أوسع.»[44]

فالرحمة من ثمرات الهدى، والداعي الرحيم يكون رحيمًا بكل من يراه مستحقًا للرحمة من خلق الله حتى الحيوان الأعجم، كما كان النبي ﷺ رحمة عامة، ويصدق فيه وفي أتباعه قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[45]. وقد بيّن الشيخ أن الشراسة والقسوة والخشونة في العملية الدعوية تنفّر المدعوين، فيذهبون من حول الداعي ويتفرقون بتركه وشأنه، ولا يبالون ما تفوتهم من منافع الإقبال عليه.

**سابعًا: الصبر والحلم والأناة:**

أمر الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام بصفة الصبر والحلم والأناة وهم أئمة الدعوة والأمر والنهي، فينبغي للداعي أن يتصف بالصبر على التكذيب والجحود وإيذاء أهل العناد ومقلدة الآباء. ولا بد للداعي من الصفات الثلاث: العلم والرفق والصبر؛ فالعلم قبل الدعوة والأمر والنهي، والرفق واللين معهما، والصبر بعدهما، ولا بد أن يكون كل من الثلاثة مستصحبًا له في الأحوال كلها.

وقد بيّن الشيخ رحمه الله في تفسير آية الاستعانة بالصبر والصلاة أن الله سبحانه كان يعلم ما سيلاقيه رسوله ﷺ وأصحابه في سبيل الدعوة والمدافعة عن الدين مع قلة عددهم، وكان المشركون وأهل الكتاب والمنافقون كلهم مناوئين لهم، فأمرهم بالاستعانة على ذلك كله بالصبر والصلاة، وفسّر الأمر بقوله:

«استعينوا على إقامة دينكم والدفاع عنه وعلى سائر ما يشق عليكم من مصائب الحياة بالصبر وتوطين النفس على احتمال المكاره.»[46]

فالصبر يعم كل عمل بدني أو نفسي أو ترك ما يشق على النفس، ولا سيما في الأعمال العامة النفع كالدعوة والجهاد.

ومن منهج الشيخ رحمه الله في هذا الباب أنه جعل الصبر إعدادًا نفسيًا مسبقًا لا مجرد احتمال طارئ؛ ففي تفسير آية الابتلاء في الأموال والأنفس بيّن أن الله أخبر رسوله والمؤمنين أن الأعداء سيؤذونهم في المستقبل، فوطّن بذلك نفوسهم ليثبتوا ويصبروا على الإيذاء والبلاء حتى لا يرهقهم ما تصيبهم الشدة بغتة، وقال:

[44] ibid., ṣ. (11/332).
[45] Sunan al-Tirmidhī (t. Shākir), ṣ. (4/324).
[46] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (2/27).

«خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على ما سيلقون من الأذى، والشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون.»[47]

فسنة الله تعالى تجري في الداعي أيضًا حينما يشتغل في العملية الدعوية، فلا يظن أنه جلس على عرش العزة وأمن حوادث الكون، بل لا بد له من الصبر والحلم والأناة على الشدائد والبلاء الذي سيحل به في ماله ونفسه وأهله، وعلى الأذى الذي يسمعه من غير المسلمين، فالصبر والتقوى في ميدان الدعوة من الأمور التي يجب العزم عليها، كما جاء في وصية لقمان الحكيم لابنه: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[48].

وقد جمع الشيخ رحمه الله أطراف هذه الصفة عند آية المصابرة والمرابطة، فقال:

«فمن صبر، وصابر، ورابط لأجل حماية الحق، وأهله، ونشر دعوته، واتقى ربه في سائر شئونه فقد أعد نفسه بذلك للفلاح والفوز بالسعادة عند الله تعالى.»[49]

فالأمور الأربعة: الصبر ومصابرة الأعداء والمرابطة والتقوى، كلها من أسباب السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، ولا يمكن هذا إلا بعد معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة ما يرضيه ويسخطه، ولا يعرف هذا إلا من فهم كتابه وعرف سنة نبيه ﷺ وسيرة السلف الصالح مطالبًا نفسه بالاهتداء بذلك كله.

**ثامنًا: العفو والملاطفة والحياء:**

صفة العفو والملاطفة والحياء من أهم صفات الداعي في العملية الدعوية؛ فالعفو والمغفرة للمدعوين المبغضين المسيئين من عزم الأمور ومراتب الكمال مع القدرة على الانتصار للنفس، وبه يظهر فضل الداعي على من عفا عنه، وشأن القرآن أنه لا يأمر الدعاة بمقابلة عداوة المدعوين وكيدهم بمثلها، بل يأمرهم بدفع السيئة بالحسنة والمحبة والإحسان والخير إن أمكن.

وقد استنبط الشيخ رحمه الله هذه الصفة من قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم﴾، فبيّن أن القرآن الكريم كان خلق الداعي الأعظم ﷺ، وأن الله أمره بالمداومة على السيرة الحسنة التي هداه إليها في معاملة المدعوين وتبليغ الدعوة، وفسّر ذلك بقوله:

«ولم يبلغ قلوبهم دعوتك فاعف عنهم واستغفر لهم فلا تؤاخذهم على ما فرطوا واسأل الله – تعالى – أن يغفر لهم ولا يؤاخذهم أيضا.»[50]

---

[47] ibid., ṣ. (4/224).
[48] Sūrat Luqmān, al-āya 17.
[49] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (4/260, 261).
[50] ibid., ṣ. (4/163).

فسوء المعاملة في العملية الدعوية هو أعظم المنفرات، وأما صفة العفو والملاطفة واللين والرحمة في دعوة الحق ومعاملة المخالف فهي التي يظهر بها الدين وتنتشر دعوته وتعلو كلمة الله، وقد انتشر الإسلام في العصر الأول بالسرعة التي لم يسبق لها نظير في الأديان بحسن معاملة الدعاة لمن يعاشرونهم ويعيشون معهم.

وأما آية جوامع الأخلاق: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[51]، فقد جعلها الشيخ رحمه الله أجمع آية لمكارم الأخلاق في القرآن، ودالة على آداب الدعوة إلى الله ودين الحق، وفسّر أولها بقوله:

«خذ العفو تولى بالبيان جانب اللين، ونفي الحرج في الأخذ والإعطاء والتكليف.»

ثم ردّ الشيخ أصولها الثلاثة إلى القوى الإنسانية الثلاث فقال:

«فالعقلية الحكمة، ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين.»[52]

فهذه القواعد الأخلاقية شرعت لليسر والتجنب من الحرج على المدعوين؛ فالعفو يضمن جانب اللين ونفي الحرج، والأمر بالعرف يتناول جميع المأمورات والمنهيات، والإعراض عن الجاهلين يشمل جانب الصفح بالصبر. ومن المعهود بين الناس أن ذوي البصيرة والفضيلة يتعارفون بينهم بهذه الآداب الدعوية من أول العهد بالتلاقي، بما يتوسمون من موضوع الحديث وتأثيره في نفس الداعي والمدعو، ثم يكمل ذلك بالمعاشرة، وبهذه البصيرة النيرة عرفت أم المؤمنين خديجة ﵂ فضائل إمام الدعاة مُحَمَّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه قبل بعثته، وأجاب أبو بكر الصديق ﵁ دعوته منشرح الصدر قرير العين بحسن فراسته[53].

ومن تمام هذه الصفة استغفار الداعي للمدعوين؛ فقد فسّر الشيخ رحمه الله قول شعيب عليه السلام لقومه بقوله:

«اطلبوا منه المغفرة لما أنتم عليه من الشرك والمعاصي بتركهما، ثم تتوبوا إليه كلما وقع منكم معصية.»[54]

فالداعي يستغفر ربه لنفسه وللمدعوين خلال الدعوة والإصلاح، ويرد القول الحسن على من جهل عليه، ويحرضهم على الندم على فعل الظلم والفساد بالتوبة، لأن الصلاح والعدل سببان للعمران والخير في الدنيا، والاستغفار من أسباب خير الدنيا والآخرة.

[51] Sūrat al-Aʿrāf, al-āya 199.
[52] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (9/449).
[53] Unẓur: ibid., ṣ. (9/443, 444, 449).
[54] ibid., ṣ. (12/120, 121).

**تاسعًا: الاستشارة والتوكل على الله، وبلاغة القول والدعاء للمدعو:**

هدى الله تبارك وتعالى المؤمنين إلى الشورى وهي من أفضل الأصول وأكمل القواعد، وكان قدوة الدعاة النبي ﷺ يستشير الصحابة ﷺ في المصالح الاجتماعية والأمور الدنيوية والسياسية والإدارية، ولا سيما في شدائد ميدان الدعوة والجهاد، ثم يتوكل على الله تعالى فيها. وأصل ذلك قوله تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[55]، وقد بيّن الشيخ رحمه الله أن الله أمر رسوله أن يقرر سنة المشاورة في الأمة عملًا، ووصف هديه ﷺ فيها بقوله:

«كان – ﷺ – يستشير أصحابه بغاية اللطف ويصغي إلى كل قول ويرجع عن رأيه إلى رأيهم.»[56]

فالمشاورة ركن عظيم في المصالح الدنيوية والعملية الدعوية، لأن الجمهور أبعد عن الخطأ والزيغ من الفرد في الأكثر، وإن أخطأ الجمهور الرأي في الشورى فإن النفع لهم في المستقبل، وكل الخير في تربيتهم على العمل بالتشاور. فإذا انعقد العزم بعد المشاورة وأُخذت الأهبة فليتوكل أصحاب الأمر والدعاة على الله في الإمضاء، واثقين بمعونته وتوفيقه.

وقد ضبط الشيخ رحمه الله معنى التوكل الصحيح ضبطًا يجمع بين الإيمان والأخذ بالأسباب، فبيّن أنه:

«القيام بكل ما أوجبه الله تعالى فيه من الأحكام الشرعية، ومراعاة ما اقتضته حكمته فيه من الأسباب والسنن الكونية والاجتماعية.»[57]

فإدارة أمور المؤمن الداعي تتضمن أربع مراحل: التشاور، والأخذ بالأسباب، والتوكل، والدعاء؛ ومن نكب عن سنن الله وترك العمل بالأسباب فهو مغرور جاهل بربه ودينه وسننه التي لا تتحول ولا تتبدل، لا متوكل منصور ولا مأجور، ويشهد لذلك قول رسول الله ﷺ لمن سأله أيترك ناقته سائبة ويتوكل: «اعقلها وتوكل»[58].

وأما بلاغة القول وفصاحة البيان فهي من أهم ما يحتاج إليه الداعي في عمليته الدعوية، إذ يترتب عليها انتفاع المدعو بما يدعى إليه وتدبره فيما يقال له. وأصلها قوله تعالى: ﴿فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا﴾[59]، فقد أمر الله رسوله أن يقول للمخالفين في شأن أنفسهم قولًا بليغًا يبلغ من نفوسهم الأثر الذي يريد أن يحدثه فيها. وقد وضّح الشيخ رحمه الله كمال هاتين المزيتين في الداعي الأعظم ﷺ بعبارة نقلها في تفسيره:

[55] Sūrat Āl ʿImrān, al-āya 159, 160.
[56] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (4/164).
[57] ibid., ṣ. (9/8).
[58] Sunan al-Tirmidhī (t. Shākir), ṣ. (4/668).
[59] Sūrat al-Nisāʾ, al-āya 63.

«قد كان ـ ﷺ ـ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها.»[60]

فتأثير الكلام يختلف باختلاف أفهام المدعوين، فينبغي للداعي أن يدعو بالحكمة ووضع الكلام في موضعه، ويكلم المدعوين بلغتهم ويبين لهم الموضوع الدعوي حتى يفهموا ويتفكروا فيه ويعتبروا به.

ويقترن بالبلاغة الدعاء في حق المدعو؛ فدعاء الداعي وضراعته إلى الله للمدعو صفة مهمة تشرح صدره وتجذب قلبه للصالحات ودين الحق، وقد بيّن الشيخ رحمه الله أن الداعي لا يكتفي بدعوة المدعوين بالحجة والبرهان، بل يستغفر الله للتائبين منهم، ووصف هدي النبي ﷺ في ذلك بقوله:

«هو الداعي والمستغفر لأولئك التائبين من ظلمهم لأنفسهم مع استغفارهم هم، فذلك من اشتراك قلبه الشريف مع قلوبهم بالحاجة إلى تطهير الله لهم من دنس الذنب وطلب النجاة من عقوبته.»[61]

**عاشرًا: الأمانة والوفاء، والعدل والمساواة، والإحسان:**

بيّن الله تعالى جميع أوصاف المؤمن الداعي المجاهد ومنها رعاية الأمانة وصدق الوعد والوفاء بالعهد، وقد تخلّق أئمة تبليغ الدعوة من الصحابة والتابعين ﷺ بهذه الصفة، فتحملوا أمانة الدين ووفاء العهد بعد وفاة النبي الصادق الأمين ﷺ، وانتشروا في أرجاء القارات الثلاث لنشر دين الحق وتعليم الشريعة وتوضيح العقيدة.

وأصل هذه الصفة قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[62]، وقد وسّع الشيخ رحمه الله مفهوم الأمانة توسيعًا دعويًا بديعًا حين جعل العلم أمانة كالمال، فقال:

«يجب على العالم أن يؤدي أمانة العلم إلى الناس، كما يجب على من أودع المال أن يرده إلى صاحبه.»[63]

ورتب على ذلك أن الدعاة، وخاصة العلماء في هذا العصر، يجب عليهم أن يعرفوا الطرق المختلفة التي تؤدي إلى إيصال دعوة الحق وعلم الدين إلى المدعوين باختلاف الزمان والمكان، كما تختلف الطرق التي تؤدى بها الأمانة الحسية من الأموال إلى أصحابها بطرق لم تكن معروفة في العصور الماضية، وأن يعرفوا أقرب الطرق وأسهلها للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتجربة والاختبار.

[60] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (5/188).
[61] ibid., ṣ. (5/191), (3/126).
[62] Sūrat al-Nisāʾ, al-āya 58.
[63] Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (5/138).

وفي المقابل جعل الشيخ الخيانة نقيض هذه الصفة وخلاف أصل الفطرة والدين، وذكر في تفسير آية النهي عن خيانة الله والرسول أثر ابن عباس رضي الله عنهما:

«خيانة الله بترك فرائضه وارتكاب معصيته، والأمانة بكل ما ائتمن الله عليه العباد بألا ينقصها.»[64]

فالأمانة من صفات المؤمنين الدعاة، والخيانة من صفات المنافقين، لكونها تعطيل الفرائض وتعدي الحدود وانتهاك المحارم. وقد قسم الشيخ رحمه الله الأمانات إلى ثلاثة أنواع: أمانة الإنسان مع الرب وهي الائتمار بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه، وأمانة العبد مع الناس وهي مما يجب لآحادهم من الحكام والأهل والأقربين مثل رد الودائع وحفظ السر وعدم الغش في الأشياء، وأمانة العبد مع نفسه بأن يختار لنفسه ما هو الأصلح والأنفع له في الدين والدنيا، وبالاختصار كل ما يجب حفظه أو كل حق مادي ومعنوي يجب على العبد أداؤه إلى أهله فهو أمانة[65].

وأما الوفاء بالعهد فقد قرر الشيخ مكانته في بناء الشريعة بقوله:

«ومن المعلوم من قواعد الإسلام العملية تعظيم شأن العهود على اختلاف أنواعها، وعد الوفاء بها من أصول البر، ومقتضى الإيمان.»[66]

وتقترن بالأمانة صفة العدل والاعتدال والمساواة؛ فقد بيّن الشيخ رحمه الله أن العدل من مزايا الإسلام العامة لكونه دينًا وسطًا جامعًا لحقوق الروح والجسد، وأن دعوة الأحكام الإسلامية من الأوامر والمنهيات كلها مبنية على أساس العدل والاعتدال بين القوى الروحية والبدنية والمساواة بين الناس بعضهم مع بعض، وأن الله فرض على المسلمين العدل فرضًا لا هوادة فيه، ولا عذر لأحد منهم في تركه، ولا يحملنهم بغض قوم وعداوتهم على ترك العدل، وقد مضت سنته العادلة بأن جزاء ترك العدل وعدم إقامة القسط هو ذل الأمة وهوانها واعتداء غيرها من الأمم على استقلالها[67]. فالواجب على الداعي أن يدعو إلى العدل في العقائد كاعتقاد التوحيد وسطًا بين الشرك والتعطيل، ويحث المدعو على القسط في العبادات والآداب والأعمال، وينهاه عن الغلو في الدين والإسراف في الدنيا، ويعامل الناس بالاعتدال بدون إفراط وتفريط، فالقسط والمساواة في الحق مقدمان على الحقوق الشخصية وحقوق القرابة وغيرها.

ومن هذا الباب صفة الإحسان والمن والإكرام؛ فقد بيّن الشيخ رحمه الله أن الدعاة يطلبون مرضاة الله بإكرام المدعوين والإحسان إليهم مع حسن النية، وأن غاية الإحسان إلى المدعوين هي العناية بهم ورعاية مصالحهم، فالداعي لا يدعو المدعو إلى الله ودينه الحق إلا بالمحبة والإحسان والخير والإكرام ودفع السيئة بالحسنة إن أمكن،

[64] ibid., ṣ. (9/534).
[65] Unẓur: ibid., ṣ. (5/142, 143).
[66] ibid., ṣ. (10/163).
[67] Unẓur: ibid., ṣ. (3/211), (6/226, 227).

كما فعل النبي ﷺ في معاملة قريش وبني النضير[68]. والمن والإحسان إلى المدعو وإكرامه، مسلمًا كان أو غير مسلم، يكون بتقديم الخير له من الإهداء والطعام لغرض الدعوة حتى يستقطب قلبه.

**حادي عشر: الحب لله والتواضع والمخالطة، والإيثار، والحرص على هداية الناس:**

يطلب من المؤمن الداعي أن يتحلى بصفة الحب لله والتواضع والمخالطة مع المدعو؛ فقد أحب خاتم النبيين ﷺ ربه وتواضع وخالط أصحابه ﷺ حتى كان لا يعرفه الوافد في أول لحظة حين يدخل المسجد النبوي، وتواضع أصحابه الكرام وتابعوهم الذين خالطوا الناس في أقطار الأرض وبثوا فيهم ما تعلموه من العلم والهدى والفرقان في خير القرون.

وأصل هذه الصفة قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾[69]، وقد بيّن الشيخ رحمه الله أن المؤمنين الدعاة يوحدون الله المحبوب الواحد ويخصونه بحبهم الخاص به سبحانه، وهم متعلقون به مخلصون له في دينهم، يوحدونه بالتشريع فلا يأخذون الدين والأحكام إلا عن الوحي، فالعلماء والدعاة ينقلون النصوص ويبينونها عند المدعوين، ويخالطونهم للدعوة والتربية الصحيحة والإرشاد إلى هداية الدين والمنافع التي ترتقي بها عقولهم، والعقائد الصحيحة التي تخرجهم من ظلمات الكفر، والتعاليم النافعة التي تتهذب بها نفوسهم[70]. فحب الله يستلزم الطاعة والعمل بالدين، والدعوة إلى الله والحق نصر له، وأنصار الله هم أنصار دينه الذين يبذلون منتهى الاستطاعة في تأييده والدعوة إليه.

وقد استخرج الشيخ رحمه الله هذه الصفة أيضًا من قصة عيسى عليه السلام مع الحواريين؛ فحسن بيان الداعي المتواضع المحب لله واستعداد المدعو يفضيان إلى الإيمان والطاعة، وبجهود الداعي المخالط للمدعوين ينخلع المدعو عما كان فيه منحازًا إلى الله ورسوله ودين الحق، وفي الآية عبرة وتسلية لرسول الله ﷺ حين شعر بالعناد والمقاومة من قومه كما أحس عيسى عليه السلام من بني إسرائيل[71]، ويشهد لمقام الحب في قلب الداعي حديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار.»[72]

وتتصل بهذه الصفة صفة القناعة والإيثار والاستغناء؛ فقد اختار الصحابة الكرام والسلف الصالح ﷺ هذه الأخلاق المحمودة، وكان أوسط أحوالها مساواة المسلم أخاه بنفسه، وأعلاها قناعته بما عنده وإيثار أخيه على نفسه وولده وأهله، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه

[68] Unẓur: ibid., ṣ. (3/77), (4/76, 77).
[69] Sūrat al-Baqara, al-āya 165.
[70] Unẓur: Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (2/53 - 57).
[71] Unẓur: ibid., ṣ. (3/258).
[72] Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, ṣ. (1/12, 13), (9/20).

فأولئك هم المفلحون﴾[73]. وقد بيّن الشيخ رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[74] أن إنفاق المحبوبات وبذل المشتهيات شأن المؤمن الداعي الصادق، وأن سنة القرآن الكريم أنه يقرن الإيمان بآثاره من الأعمال الصالحة، وأدلها عليه إنفاق المؤمن ماله في سبيل الله مما يحب مع الإخلاص وحسن النية، فمحبة الله تعلو محبة كرائم المال في قلب المؤمن الداعي، والأمة الدعوية قليلة العدد إذا كانت تبذل من فضل مالها في مصالحها العامة كانت أعز وأقوى من أمة مؤلفة من ملايين لا يبذلون قليلًا من فضول أموالهم في مثل ذلك[75].

وتختم هذه الصفات بصفة الحرص على هداية الناس والتحدث بنعم الله تعالى؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصًا على هداية كافة الناس وهي صفة بارزة له، وكانت في قلوب أصحابه ﷺ رغبة شديدة لهداية المدعوين. وأصلها قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾[76]، وقد بيّن الشيخ رحمه الله أن على المبلغ الداعي إلى الله ودين الحق أن يكون شديد الرأفة والرحمة بالمدعوين، وشديد الرغبة في اهتدائهم، وأن يهيئ نفسه للقاء المشقة والمكروه الشديد في تبليغ الدعوة، مثلما دعا الرسول ﷺ وأصحابه إلى الله ودين الحق ولاقوا المشقة والمكروه في سبيله[77]. ومن مقتضيات هذه الصفة أن يبدأ الداعي دعوته بالأمر بعبادة الله وحده معقبًا بذكر الآلاء والنعم، فهذه سنة جميع المرسلين في دعوة أممهم، لأن معرفة النعم والشكر عليها طريق إلى معرفة الرب العظيم المنعم والإيمان به.

**الخاتمة**

تبين من هذه الدراسة أن الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا رحمه الله لم يتناول صفات الداعية في تفسيره تناولًا عارضًا، بل جعلها منظومة متكاملة مستنبطة من الآيات القرآنية، تجمع بين ما يقوم بالقلب من الإخلاص والتقوى والمحبة، وما يقوم بالعقل من العلم والبصيرة والحكمة، وما يظهر على الجوارح من العمل والاستقامة والرفق والصبر والعدل، وربطها كلها بسيرة الداعي الأول رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ.

ومن أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة:

1. إن القدوة الصالحة هي الأصل الجامع لصفات الداعية عند الشيخ رشيد رضا؛ فعموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وخيرية أمته يستلزمان أن يكون الداعي المسلم قدوة صالحة يقتدي المدعو بأفعاله وأقواله وأخلاقه.

[73] Sūrat al-Ḥashr, al-āya 9.
[74] Sūrat Āl ʿImrān, al-āya 92.
[75] Unẓur: Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (3/305, 306), (2/268).
[76] Sūrat al-Tawba, al-āya 128, 129.
[77] Unẓur: Tafsīr al-Manār, Muḥammad Rashīd Raḍā, ṣ. (11/71, 72).

2. إن الإخلاص والصدق هما أساس الدعوة وروحها وسر القبول فيها، وإذا انعدما جاء الطمع والغرض والسمعة، فيسوء الحال وتخسر الأمة المآل.
3. إن الشيخ ربط الصفات القلبية بثمراتها العملية؛ فجعل التقوى منتجة لملكة الفرقان العلمي والعملي، وجعل الإرادة القوية طريقًا لتربية المدعوين بالعمل والتعويد مع التعليم وحسن التلقين.
4. إن العلم والبصيرة عنده لا يقتصران على علوم الشرع، بل يشملان العلوم والفنون التي تتعلق بحياة الإنسان وارتقاء الأمم، وتركها كان سببًا في زوال ملك المسلمين ومجدهم.
5. إن الرفق واللين والرحمة والعفو هي التي يظهر بها الدين وتنتشر دعوته، وسوء المعاملة أعظم المنفرات، وبحسن معاملة الدعاة انتشر الإسلام في العصر الأول بسرعة لم يسبق لها نظير.
6. إن الداعي مأمور بالجمع بين الشورى والأخذ بالأسباب والتوكل والدعاء، فالتوكل الصحيح هو القيام بالأحكام الشرعية مع مراعاة السنن الكونية والاجتماعية.
7. إن الأمانة عند الشيخ تشمل أمانة العلم، فيجب على العالم الداعي أن يؤديها إلى الناس بأقرب الطرق وأسهلها المتجددة بتجدد الزمان والمكان.
8. إن هذه الصفات كلها تلتقي عند غاية واحدة هي متابعة النبي ﷺ في دعوته واحتساب الأجر والثواب على الله وحده دون طلب عوض من المدعوين.

وبهذا يتضح أن تفسير المنار قدّم للدعاة برنامجًا تربويًا مستمدًا من كتاب الله، يصلح للاهتداء به في كل عصر؛ فمن تحلى بهذه السمات الأخلاقية والخصائص السلوكية أدى أمانة الدعوة على هدي وبصيرة، ورجي له أن يبلغ بدعوته قلوب المدعوين كما بلغها سلف هذه الأمة، والله ولي التوفيق.